

مفاهيم القرآن

(419) بوضوح - أنَّهُ قد سادت على الآَوساط الشيعة في هذه الظروف نزعتان مختلفتا المنحى ومتضادتا المنهج لا تجد لهما مثيلاً في العصور السابقة، وهاتان النزعتان هما: 1. النزعة العقلية البحتة التي تدفع المفسر إلى الاهتمام بالآيات الواردة في المبدأ و المعاد والآسماء والصفات وما يمت إليهما بصلة، ويضرب - في ظلّها - عمّاً سواها صفحاً، ولا ينظر إليه إلا نظرة خاطفة كأنّ القرآن كتاب عقلي فلسفي لا يهتم إلاّ بالمسائل العقلية، ولا شأن له بمسائل المجتمع وما تدور عليه رضى الحياة. 2. النزعة الاخبارية التي لا تهتم إلاّ بنقل الروايات وجمعها من مختلف الكتب من دون تحقيق في اسنادها ومتونها حتى ألّف في هذه الظروف أكبر المجاميع الروائية حول التفسير التي لا يشذ منها من أحاديث التفسير إلاّ النزر اليسير. وقد كان لهاتين النزعتين تأثير خاص في تطوّر التفسير في تلك العصور، ولما قضى الـُستاذ الأكبر المحفّق البهبهاني (المتوفى 1206هـ) على النزعة الاخبارية التي تتسم بالقشرية والسطحية في أواخر القرن الثاني عشر ومستهلّ القرن الثالث عشر عزت العناية بالتفسير الروائي وتوفرت الدوافع نحو التفسير العلمي الذي يهتم بأكثر المسائل التي يتوقّف عليها فهم الآيات، فراج منهج الشيخ الطوسي في تبيانها، والطبرسي في مجمعه، خصوصاً في أواخر القرن الثالث عشر ومستهلّ الرابع عشر. نعم حدثت رجّة عنيفة في أواسط القرن الرابع عشر ودفعت الضرورات الاجتماعية إلى تطوير المنهج التفسيري كما سيوافيك بيانها، وإليك اعلام التفسير في القرن الحادي عشر: